

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١١، العدد ١، ربيع ١٤٣٦ هـ
صفحة ١٥٩ - ١٨٤

ظاهرة الحرية والوطنية في أشعار أبي القاسم اللاهوتي وجميل صدقي الزهاوي (دراسة مقارنة)

حسن گودرزي لمراسكي^١، جواد محمد زاده^٢

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة مازندران

٢. طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بوعلوي، همدان

(تاريخ الاستلام: ٢٢/٤/٢٠١٥؛ تاريخ القبول: ٣/٥/٢٠١٥)

خلاصة القول

يتناول هذا البحث دراسة الشعر الملتزم في إيران والعراق زمن الدستورية، ويحاول أن يبيّن الدور الذي أداه شعراء ذلك العصر ومنهم «الزهاوي واللاهوتي» في التعبير عن القضايا التي جرت آنذاك. كان أهم هذه الأحداث ظاهري الحرية والوطنية التي شاعت في الشعر العربي والفارسي زمن الدستورية على نحو يسترعي النظر لعدة أسباب منها: جور الحكام على الرعية، تحكم العادات السقيمة على أبناء الشعب، معاناة الشعب من الاضطهاد وسيادة الفقر والجهل عليهم. إن هذه الدراسة تتبع المنهج التحليلي وتقوم بتحليل مضامين الحرية والوطنية في شعر «الزهاوي واللاهوتي». تحاول هذه المقالة من خلال المنهج المقارني -بناء على المدرسة الأمريكية- أن تتوقف عند مواطن التشابه والخلاف في تصوير ظواهر شعرهما الرئيسية حيث تدل النتائج على أن الشاعرين تألّما من فقدان الحرية والاختناق اللذين سببتهما سياسة الحكام الفاسدة ومن جهة أخرى غالى الشاعران في حب الوطن لأنه الملاذ الذي وجدا السكينة في جواره.

الكلمات الرئيسية

جميل صدقي الزهاوي، ابوالقاسم اللاهوتي، الحرية والوطنية، إيران، العراق.

مقدمة

يعبر الأدب الجوانب المختلفة من الحياة البشرية ويصوّر أحاسيسنا ومشاعرنا الذاتية والجماعية وإن دارس الأدب بصورة عامة والشعر بخاصة، في مختلف الأمم، سيجد الأدب هو السجل الإنساني الحقيقي «إن الشعر بخاصة والفن بصورة عامة، سجل المشاعر الحساسة العميقة التي يحس بها الفرد، ويعاني منها الانسان أو يسعد بها البشر في الآلام والأفراح والأتراح والأمل الحلو، والخيبة المرهقة» (بوقرين، ١٤١٦، ص٢٠٤). أما إذا كانت رسالة الشعر الاهتمام بمشاكل الناس فهكذا ينفع ويرقى؛ لأن الشعر أدعى إلى التأثير وأسرع أن يعلق في الذهن من الفنون الأدبية الأخرى والشاعر الاجتماعي إذا أحسن القصيد وصرفه فيما يفيد، تقطف البلاد ثمرة أقواله؛ لأنه هو الذي يدل أمته على عوارها وعارها ويبين لها طريق نجاتها وعثرتها. هناك علاقة وثيقة بين الشعراء السياسي والاجتماعي. الشعر الاجتماعي هو الشعر الذي يتناول بصراحة، قضايا المجتمع المختلفة كالعدالة الاجتماعية، نشر التعليم، مشاكل العمل، محاربة الانحلال الخلقي، والحث على الإصلاح؛ والشعر السياسي يتعاطى شؤون الحكم تأييداً وتفصيلاً، ويتناول أمور الدولة داخلياً وخارجياً مصاحباً بالنقد حيناً، وبالمدح حيناً آخر، ويتحدث عن الحكام ومخططاتهم وأعمالهم مدحاً وذمماً، ويظهر رأيه في معترك الحزبيات أو في معترك الدول، ويعبر عما يدور في صفوف الشعب من أمان سياسية وغايات تسعى إلى تحقيقها.

إن الظروف السائدة في إيران والعراق زمن الشعراءين متماثلة لحد كبير خاصة في زمن الدستورية. تعتبر الثورة الدستورية من أهم الأحداث والقضايا التي شهدتها إيران والعراق في العصر الحديث، حيث أثرت في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية تأثيراً مباشراً، ولم يقتصر هذا التأثير على السياسة فحسب، بل تغلغل في الأدب لا سيما في الشعر. في هذه الفترة راجت فكرة الحرية شيئاً فشيئاً في البلدين وقد استعملت مفردة الحرية كثيراً في الشعر الفارسي والعربي بسبب وجود الاستعمار الخارجي وظلم الحكام. وابتعد الشعر عن الموضوعات القديمة ولجأ إلى موضوعات جديدة وبعد أن كانت اللغة وسيلة في أيدي الشعراء لإظهار مقدرتهم اللغوية والأدبية.

لم يكن للشعر السياسي في إيران والعراق أثر في المنتصف الأول من القرن التاسع عشر وكان الشعر حجراً على البلاط والحكام، والشعراء لم يكونوا يهتمون بأمال الشعب ومطالبهم ومشاكلهم. أما في المنتصف الثاني من هذا القرن، تزامناً مع تغيير الظروف السياسية ودخول

الأجانب في هذين البلدين، ومع اتصال الشرق بالغرب وتطور حركة الترجمة، دخل الشعر أبواباً جديدة نحو القضايا المختلفة وتطور الشعر السياسي ووقف الشعراء بجانب شعوبهم وتحذوا في شعرهم عن القضايا التي تهم وطنهم؛ أما بالنسبة إلى «جميل صدقي الزهاوي وأبي القاسم لاهوتي»، فهذان الشاعران من بلدين متجاورين، كما أنهما عاشا في نفس الفترة تقريباً وتشابهت ظروف بلديهما إلى حد كبير، كما اشتركت الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها الشاعران. ورغم عدم وجود علاقة، أو اتصال مباشر، أو غير مباشر بين الشاعرين، غير أننا نستطيع أن ندرس القاسمتين المشتركتين بينهما وهي ظاهرة الحرية والوطنية.

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن عدة أسئلة رئيسية وهي:

ما هي العوامل التي أدت إلى ظهور المفاهيم المرتبطة بحياة الشعب عند الشاعرين؟ ما هي مواقف الشاعرين تجاه ظاهرتي الحرية والوطنية وما هي ميزاتها الرئيسية؟ ما هي أوجه التشابه في أشعارهما السياسية والاجتماعية؟

وفرضيات البحث هي:

تدهور الحياة الاجتماعية وسيادة الفقر الثقيل والاحتقار السياسي في هذا العصر قد أثرا في نفوس هذين الشاعرين الذين اهتموا بمطالب الشعب وحقوقهم المسحوقه وأورد مشاكلهم في أشعارهما وبادرا إلى معالجتها. يمدح الشاعران الحرية والتخلص من قيد العبودية. كان الحنين للوطن سمة من أبرز سمات شعرهما، والذي نابع من النزعة الرومانتيكية التي تسيطر على روح الشاعرين.

وأما بالنسبة لخلفية البحث فهناك دراسات حول الشاعر جميل صدقي الزهاوي منها:

١. «استعمار ستيزي در اشعار ملك الشعراء بهار وجميل صدقي الزهاوي» فصلية لسان المبين (دراسة الأدب العربي)، السنة الثالثة، العدد ٦. درست هذه المقالة وجهات نظر بهار والزهاوي حول المكافحة ضد الاستعمار من منظور النقد المقارني. جاء المؤلف فيها بالشواهد الشعرية الملائمة التي تدل على تشابهات الآراء عند الشاعرين (بصيري، ١٣٩٠، ص ١).

٢. «ملحمة ثورة الجحيم في شعر جميل صدقي الزهاوي» فصلية دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة، العدد ١٢، تناول المؤلف في هذه المقالة قصيدة «ثورة في الجحيم» واستنتج أن الزهاوي شاعر ناقد خبير بالفلسفة الإسلامية والمضامين القرآنية وفيها تأثر الشاعر بالكمديا الإلهة لدانتي (سليمان، ١٣٩٠، ص ٢٢).

«روابط بينامتنى ديني در قصيدة (ثورة الجحيم) جميل صدقي الزهاوي»، مجلة الرابطة الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ٢١، هذه المقالة بعد دراسة موجزة في التناص وأهميته في النقد الأدبي، تسعى إلى قراءة جديدة لقصيدة «ثورة في الجحيم» لجميل صدقي الزهاوي مبينة مدى تأثير النص الحاضر بالنص الغائب. أخيراً وصلت الدراسة إلى أن للكلمات الدينية ومضامينها دوراً بارزاً في إنشادها (كياني، ١٣٩٠، ص ١٠٣). ودراسات حول اللاهوتي منها كتاب «از صبا تا نيماء» لآرين پور الذي درس شاعريته وكيفية رؤية الشاعر إلى الحياة ومقالة (مقام زن در اشعار ابو القاسم لاهوتي، ايرج ميرزا وعارف قزويني) التي طبعت في مجلة المرأة والثقافة، السنة الثالثة، العدد ١٢ (حاتمي، ١٣٩١، ص ٦٥) ودرس فيها الكاتب اختلاف آراء هؤلاء الشعراء حول المرأة؛ اما هذه المقالة فهي دراسة مقارنة بين الشاعرين ودراسة ظاهرتي الحرية والوطنية في أشعارهما والتي تعد دراسة جديدة في بوتقة الأدب المعاصر.

الحرية في شعر جميل صدقي الزهاوي

الظاهرة التي نستطيع أن نراها بوضوح في شعر الزهاوي هي النزوع إلى الحرية وإبادة الضيم والثورة على الواقع المتردي وعلى نمط الفكر والحياة. إنه من أوائل المناضلين من أجل الحرية، المنددين بالجور والظلم والاستبداد. وكان شغوفاً بالحرية إلى حد بعيد، ويطالب بإطلاقها إلى الحد الأقصى لأنه يرى الاستبداد وخنق الحرية بعينيه. هو وليد فترة لا يسمح استبداد الحكام للشعب الدفاع عن حقهم، والسجن والتكيل والنفي جزاء أحرار اشتبكوا مع الحكومة.

يُرِيدُونَ أَنْ يَخْفَى الْجَرِيحُ أَنْيَتَهُ وَيَسْكُتُ أَهْلُ الْحَقِّ عَنْ طَلَبِ الْحَقِّ
وَلَكِنَّنِي أَبْقَى بِحَقِّي مُطَالِباً إِلَى أَنْ يَسُدَّ الْمَوْتُ فِي سَاعَةِ حَلْقِي

(الزهاوي، ١٩٢٨، ص ١٨٣)

كما يلاحظ أن الزهاوي في هذه الأبيات الرائعة يعبر عن حالته النفسية الجياشة وأراد من أهل العراق المثابرة والمقاومة أمام ظلم الحكام الذين لا يريدون أن يفكر الناس أو يتأملوا للمستقبل وللعالم الذي يعمه القسط والعدل.

نشأ الزهاوي على تذوق علمي وميل إلى التفكير الحر والأخذ بأساليب التجديد والتطور، خصوصاً وأنه انكب على مطالعة مجلة «المقتطف» العلمية وقد تأثر بالنزعات الفكرية الحديثة التي تسربت إلى الشرق عن طريق الاتصال بالغرب والترجمة عنه، فبذرت بذوراً من حرية التفكير عنده، وكان يحب حرية الفكر بل يعشقها، وهو ينادي بها ويرى أنها من

الشروط الضرورية لرفي المجتمع والتقدم في ميدان الحضارة والخلاص من الظلم:
 عَظُمَ عَلَى الْأَفْكَارِ فِي عَصْرِنَا الْحَجَرُ أَمَا كُلُّ إِنْسَانٍ بِأَرَائِهِ حُرٌّ؟
 وَهَلْ فَقَّهَ الشَّعْبُ الْمَرِيدُ انْطِلَاقَهُ مِنْ الْأَسْرِ أَنَّ الْحَجَرَ فِيهِ هُوَ الْأَسْرُ
 وَهَلْ نَافَعَ تَحْرِيرُهُ مِنْ إِسَارِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي رَأْسِهِ حُرَّ الْفِكْرِ
 (الزهاوي، ١٩٢٨، ص ١٧٢)

تغنى الزهاوي بالحرية وكان قصده إيقاظ الأمم من سباتها الذي طال أمده، ودعا إلى الحرية الفكرية وندد بالقهر الفكري ونزع إلى الدعوة للعلم فراراً من الجهل وبعداً عن الخرافة. نراه يخاطب شباب العرب ويقول: «فيا شباب العرب، هاكم قصة بطل من أبطال حرية الفكر في الشرق وزعيم من زعماء المدرسة الحديثة في بغداد. وكأنني أسمعه يقول لكم يا أولادي لقد أديت مهمتي بإخلاص، كافحت النزعات الرجعية مع الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي وقاسم أمين بقوة وصبر وإيمان... ومازلت أكافح بعدهم حتى اسكتني الموت. الهدم ثم البناء.. لقد مهدت لكم الطريق وفتحت الباب على مصراعيه.. يا شباب العرب. نحن نعيش في عصر اليقظة والثورات.. الأمم تتصارع بعنف والجماعات تقتتل في سبيل المبادئ لا في سبيل الزعامات... والغلبة للقوي. للقوي في فكره وميوله ومطامحه وهضمه نزعات العصر، أما إن نعيش في أخيلة الماضي وإقطاعيات العصور الوسطى وإن نستسلم للأهواء والغيبيات وإن لا نقوي على مصارعة الأحداث فمعنى ذلك الموت والفناء... وهذا ما أعيذكُم منه.. وهذه رسالتي إليكم والسلام» (الرشودي، ١٩٦٦، ص ٢٥٦).

فقد جعل الزهاوي شعره مرآة واضحة لنزعات العصر، فهو عدو الجمود والطغيان، يدعو إلى حرية الفكر وإلى الأخذ بكل جديد. إذا تصفحنا دواوين الزهاوي لانكاد نجد مقدمة من مقدمات دواوينه تخلو من ذكره للجديد والتعلق به فقد جعل الجديد المحور الذي تدور حول آراءه في الشعر وكان يجري وراء كل جديد في الحياة وقد عبّر عن حبه للجديد وسأمه من القديم وضيقه به في قوله:

سَمِّمْتُ كُلَّ قَدِيمٍ عَرَفْتُهُ فِي حَيَاتِي إِنْ كَانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنَ الْجَدِيدِ فَهَاتِ

(الزهاوي، ١٩٢٤، ص ٤٠٢)

هذه الأبيات تُثبِتُ أن الشاعر كان من دعاة التجديد ويتباهى بمعرفته الأدب الغربي والفكر الأروبي وهذا الأمر يدل على أنه لا يريد أن يقيّد نفسه على التقاليد التي كانت سائدة آنذاك.

حرية الرأي عند الزهاوي

إن حرية الرأي تبدو مع ذلك كامتداد طبيعي لحرية الفكر. فإذا كانت حرية الفكر تعتبر حرية فردية فإن حرية الرأي هي في الوقت نفسه حرية فردية وحرية جماعية. يقول الشاعر في كتابه «المجمل مما أرى»: «من كبر علائق الانحطاط في الشعب هو كم أفواه الأفراد من إبداء آرائهم الحيوية وتقييد القول والكتابة» (الزهاوي، ١٩٢٤، ص ٩٢).

فأكثر من التغني بالحرية والبكاء على فقدها في الشرق العربي فنراه يعتز بحرية الرأي عنده:
 ماذا عَلَيَّ مِنَ الَّذِي قَدْ قُلْتُه أولستُ حُرَّ الرَّأْيِ والتفكير
 (الزهاوي، ١٩٢٤، ص ٩٢)

ونراه يبكي على رق القيود في الشرق وقد سيطرت على الشاعر عاطفة الحزن الممزوج بالأمل ويقول:

الغربُ مُسْتَتِدُّ إِلَى التَّدْبِيرِ والشَّرْقُ مُعْتَمِدٌ إِلَى التَّقْدِيرِ
 الغربُ حُرٌّ لِلْقِيُودِ مَقْطُوعٌ والشَّرْقُ مِنْ عَادَاتِهِ كَأَسِيرِ
 إِنَّا إِذَا مَا كُنْتَ عَنَّا سَائِلًا أسراءُ مَوْعُودُونَ بِالتَّحْرِيرِ
 لَهْفِي هُنَاكَ عَلَى رِقَابِ أَصْبَحَتْ مَلُوبِسَةً بِالذُّلِّ تَحْتَ السَّنِيرِ
 (الزهاوي، ١٩٢٤، ص ٢٦٨)

اللافت للنظر في هذا الأبيات، إن الشاعر استعان بالطرق المختلفة ليرينا هذه العاطفة الحزينة منها اختيار الكلمات المناسبة والوزن الخاص. اختار الشاعر في هذه الأبيات الكلمات التي تدل على سيطرة عاطفة الحزن والألم على الشاعر منها: «قيود، أسير، أسراء، لهفي، رقاب، ذل والنير». إذا نظرنا إلى قول في أبيات الشاعر في هذا النص نرى أن الشاعر استفاد من القافية المطلقة ويتبين لنا أن القافية المكسورة تعبر عن حالات يسودها الحزن والألم ولقد جاء في القافية حرف الروي بالراء المكسورة المؤسس لها بالياء المطلقة وهذا الروي يوحي بحالة نفسية مكسورة ممتدة.

فإذا افتقد الحرية في بلد عربي فإنه لا يبالي أن يتركه إلى بلد آخر حتى ولو كان البلد المهجور وطنه، ويقول في ذلك:

إِلَى الْبَلَدِ الْحُرِّ ارْتَحَلْ غَيْرُ قَافِلٍ فَتَدَّ يَسْتَرِيحُ الْحُرُّ فِي الْبَلَدِ الْحُرِّ
 (الزهاوي، ١٩٢٤، ص ٣٨٤)

كما نرى أن الشاعر في هذا البيت جاء بأدوات التأكيد المختلفة منها تقديم شبه جملة «إلى البلد الحر» الذي يفيد الحصر وأيضا تكرار كلمة «الحر» ثلاث مرات الذي يدل على شدة عناية الشاعر بالحرية.

الحرية في شعر أبي القاسم اللاهوتي

الحرية إحدى المجالات التي أنشد لاهوتي فيها. ولهذه الحرية في شعره مفهوم خاص في كثير من الأحيان، المفهوم الذي سماها ما شاء الله أجوداني «الحرية من النوع الطبقي» (أجوداني، ١٣٨٥، صص ٢٠-٢٤).

هذا النوع من الحرية، معناه تخلص الكادحين والبائسين من سيطرة استغلال الرأسماليين والطبقة الارستقراطية ومن الطريف أن الوصول إلى هذا النوع من الحرية في شعر اللاهوتي قد وصى بأسوأ أساليب العنف والثورة وسفك الدماء. يرى اللاهوتي الحرية من منظور شيوعي، ويقترح سبيلاً ثورياً للظفر بها. فإن الشاعر قد استمدَّ جوهر أفكاره وآرائه من منبعين: كان قد استمدَّ من الثورة الدستورية والتيار الفكري الناتج عنها من جهة، ومعجباً بمبادئ الشيوعية وثورة أكتوبر سنة ١٩١٧م في روسيا من جهة أخرى. فأمن بحرية الإنسان وأشاد بالحرية السياسية خاصة وفي حديثه عن الحرية كان يرسم طريق الدم ويرى أنه من الممكن الوصول إلى هذه الحرية بثورة العاملين والكادحين.

ومع هذا كله، تأتي الحرية في بعض أشعاره بمفهوم الاستقلال وحق اختيار وتقرير مصير الشعب والبلد بيد الشعب نفسه، والحرية من هذا المنظار إحدى الحقوق الطبيعية للإنسان، والإنسان يحتاج إلى الحرية هذه لتنمية استعدادته الكامنة:

زندگي آخر سر آيد بندگي در کار نیست بندگي گر شرط باشد زندگي در کار نیست

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص ٥٤)

وفي النهاية ستنتهي الحياة ولاعبودية هناك، وإن لزم كون العبودية فلا هناك حياة اعتبر لاهوتي هيمنة الأجنبي واحدة من العقبات أمام حرية الإنسان وأكبر تهديد للحرية. ويعتقد أن قيمة الحياة تعتمد على الحرية والاستقلال.

زندگي، آزادي انسان واستقلال اوست بهر آزادي بدل کن بندگي در کار نیست

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص ٥٤)

الحياة هي حرية الإنسان واستقلاله، كافع لأجل الحرية، فلا عبودية هناك

التحق اللاهوتي بالحركة الدستورية في الأيام الأولى من دخوله عالم السياسة وكما نرى في هذا البيت ركز كل جهوده من أجل حرية العمال ومعرفة الذات ويعتقد أن الحياة تعتمد على الحرية والاستقلال.

قليلاً ما وردت الحرية بهذا المفهوم في شعر اللاهوتي، ويجب أن نتطرق إلى هذا الشطر القليل أيضاً في ضوء الحرية والمفهوم الطبقي. السمة البارزة لأشعار اللاهوتي في هذا المضمار هي التلقي الشيوعي من الحرية، فلننظر إلى الأبيات التالية التي تبين هذه السمة:

آزادي ما بر ضد داراست نفع اميران در ذلت ماست
(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص ٦٦١)

حريتنا تقوم على مناهضة الغنى، وفي ذلّتنا ينتفع الأمراء
ما به ضد صنف استثمار كن داريم جنگ فعله ايم، آزادي زحمت شعار ما بود

نحن نحارب الطبقة المستغلة، نحن العمّال. هتافنا حرية المحنة والكلفة
استخدم الشاعر قلمه كالسلاح الذي يشجع الناس ضد الحكم الاستعماري، ويدعوهم
للقتال ضد الظالم ويحاول تدمير القضية الاستعمارية بمساعدة الثورة الفكرية.

منتظر از هيچ كس بهر رهايي نيستيم ناجي ما بازوان بردبار ما بود

لا ننتظر أحداً لنيل الحرية، فالذي ينقذنا، هو سواعدنا الصبورة
استخدم اللاهوتي الحس الوطني من قبل مواطنيهم ليحث مشاعر الناس الوطنية وشجع
على مواصلة الجهود الرامية إلى بناء مستقبل مجتمعهم وبلده أكثر من قبل.

ما سند داريم كه اين دنيا سراسر ملك ماست ما سند داريم به دست بينه دار ما بود
(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص ٦٦١)

لدينا وثيقة بأن هذه الدنيا كلها ملك لنا، لدينا وثيقة هي كانت في أيدينا المثقنة
يقارن اللاهوتي ماضي إيران التي كانت حضارة عظيمة، ويقارنها مع الوضع الحالي
ويحاول أن يقوّي ثقتهم بالنفس.

المتأمل في هذه الأبيات يجد أن اللاهوتي دائماً يتحدث عن شأن العمال والكادحين ويرى
منزلةً رفيعةً لهم بما أنّ الحياة حق العمال فحسب لأنهم هم الذين يبنون العالم، بعد ذلك
نشاهد أن تحرر الفلاحين والعمال من المفاهيم التي يتأمل اللاهوتي فيها ويفكر بها.

وفي مكان آخر يرى الشاعر أن هذه الحرية تتحصل عبر كفاح نفس العامل والفلاح
جماعيا لا فرديا:

بي شك بود آزاد كن فعله ودهقان دست و بازوي توانا و دگر هيچ
كوتاه كند دست ستم را ز سر خلق تشكيل همين فعله بي پا و دگر هيچ

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص٩١٧)

لا شك أن اليد والعضد القويتان، هما محررا العامل والفلاح ولا شيء
منظمة هؤلاء العمال البائسة، تقطع أيدي الظلم عن رؤوس الخلق ولا شيء
كما رأينا، إن الحرية إحدى المضامين التي قد اختص الشعاران بها أشعاراً من
ديوانيهما، وعندما نتمعن النظر في أشعارهما نراهما يمدحان الحرية والتخلص من قيد
العبودية. فعندما ينشد الزهاوي أشعاراً في نقد الحكم العثماني وأعمالهم الاستبدادية،
يسجن ثم ينفى. فيصوّر الشاعر هذا الاختناق وفقدان الحرية في شعره هكذا:

غَنِّي لِحُرِّيَّتِنَا الْحَبِيبَةِ الْمُهَاجِرَةَ فَقَدَ تَعُوذُ بَعْدَمَا وَلَّتْ كَشْمِسٍ غَائِرَةَ

(الزهاوي، ١٩٧٩، ص٦٨٩)

وقد ولت شمس الحرية من بلد الزهاوي ويتحسر الشاعر على فقدانها ويشير إلى وعود
الحكام المزيفة وهو يلهف على ذل، أصاب الشعب من جانب الاستبداد ووعوده الباطلة:

إِنَّا إِذَا مَا كُنْتَ عَنَّا سَائِلًا أَسْرَاءُ مَوْعُودُونَ بِالتَّحْرِيرِ
لَهْفِي هُنَاكَ عَلَى رِقَابِ أُصْبَحَتْ مَلُوبَةً بِالذُّلِّ تَحْتَ النَّيْرِ

(الزهاوي، ١٩٢٤، ص٢٦٨)

يشارك اللاهوتي، الزهاوي في الظروف السياسية المتشابهة، وهو أيضاً يتألم من سلطة
الحكام المستبدين والظالمين، ورزوح الإيرانيين تحت وطأة الضيم وفقدان الحرية فبالطبع
تتلاقى الحرية في شعر الشعارين في هذا المحور والنقطة. فاللاهوتي كصاحبه الزهاوي يبحث
عن الحرية ويتمنى أن يعطي للشعب حق تقرير مصيره. فانظر كيف يتحسر على زوال الحرية:
سالها در جست جوي حق به هر در سر زدم كس نديدم هر قدر اين در زدم آن در زدم

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص٨٤)

طرقت كل باب في طلب الحق أعواماً، ما وجدت أحداً كلما طرقت هذا الباب وذاك الباب
نرى أن الشاعر لم يأل جهداً لإحقاق الحرية والقانون والحق بل يريد من الناس حتى يختاروا

طريقة مناسبة لهذا الأمر ويُعدّوا كل ما هو ضروري لتحقيق الحياة من الاتحاد ومحاربة الجهل والظلم.

ويئن الشاعر من أولى الأمر الذين يتناسون حقوق الشعب ولا يعملون إلا بما تقضي مصلحتهم وأهوائهم:

هر كه را ديدم براي نفع شخصي مي دويد پشت پا جز فعله ودهقان به خشك و تر زدم

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص ٨٥)

كلّ من رأيتَه كان يعد وويركض لمصلحته الشخصية، أعرضت عن الرطب واليابس إلا عن العامل والفلاح

بذل الحياة في سبيل الحرية

يدعو اللاهوتي شعبه إلى الكفاح لأجل الحرية وللوصول إليها. فلا شأن للحياة في رؤية الشاعر دون الحرية ولا ثمن لها في ظل الحقارة والعبودية:

زندگي آزادي انسان واستقلال اوست بهر آزادي جدل كن بندگي در كار نيست

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص ٥٤)

الحياة هي حرية الإنسان واستقلاله، كافح لأجل الحرية، فلا عبودية هناك لذلك فإن الحرية عنده تعد من القيم الأساسية في حركة الإنسان وبها يقاس تقدم الأمم وتطورها؛ إذ لا يمكن أن يتحقق التقدم إلا بالتححرر من كل معوقاته. والحرية هي العنوان العريض للقدرة الإنسانية على إزالة المعوقات وإنجاز أسباب وعوامل النهوض والانعقاد. وكذلك لا يقبل الزهاوي الحياة في ظل الظلم والأسر، ويطالب حقه وحرية ولا يسكت

عن طلبهما ولو مات وضحى بحياته في هذا السبيل:

يُرِيدُونَ أَنْ يَخْفَى الْجَرِيحُ أَنْيَنَهُ وَيَسْكُتُ أَهْلُ الْحَقِّ عَنْ طَلَبِ الْحَقِّ
وَلَكِنِّي أَبْقَى بِحَقِّي مُطَالِباً إِلَى أَنْ يَسُدَّ الْمَوْتَ فِي سَاعَةِ حَلْقِي

(الزهاوي، ١٩٢٨، ص ١٨٣)

ونراه يشيد بالحرية في أشعاره ويعتز بها:

مَادَا عَلَيَّ مِنَ الَّذِي قَدْ قُلْتَهُ أَوْ لَسْتَ حُرَّ الرَّأْيِ وَالتَّفْكِيرِ

(الزهاوي، ١٩٢٤، ص ١٩٢)

ويوجد هذا الاعتزاز والفخر بالحرية في شعر اللاهوتي أيضاً عندما يقول: أنا من عائلة الحرية والحب وافتخر بها:

افتخارم به عشق وآزادي ست من از اين خاندان نسب دارم

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص٥٣)

إن فخري إلى الحب والحرية، ولي نسب من هذه الأسرة

وقد استولت النزعات الشيوعية على اللاهوتي، وهنا، إثر هذه الآراء والنزعات، تسكب الحرية في شعره في مجرى حديث علاوة على ما ذكرناه، وهو مجرى الكفاح والجهد لأجل تحرير الصنف الكادح من نير ظلم الصنف الغني وعدوانه. فيملاً شعره من ألفاظ كالكادح والملوك والطبقة العمالية والطبقة الارستقراطية، ويجعل مخاطبه الطبقات الفقيرة ويحرضهم على الكفاح والثورة ضد الأغنياء والمترفين والتحرر من ظلمهم واضطهادهم. اسمع صوت الشاعر حين يدعو العمال إلى الاتحاد وإلى هدم أساس الظلم والعدوان:

متحد با كارگر ها باش و بنياد ستم را محو كن با چكش و داس هنرور اي دهاتي

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص٦٣٣)

اتحد مع العمال وامح أساس الظلم، بالمطرقة والمنجل، أيها الريفي الفنان

كما يلاحظ أن اللاهوتي بالنسبة للطبقة العاملة والفلاحين لديه نظرات منها: الدفاع عن العمال والفلاحين، حاجة المجتمع إليهم، تبيكت الرأسماليين لعدم مراعاة حقوق العمال، المعارضة للحكومة نظراً لعدم الاهتمام لاحتياجات العمال والفلاحين وأخيراً، الدعوة للقيام على تدمير الحكومة القمعية.

فالحرية في رؤيته هي تحرر الطبقات الكادحة من ظلم الطبقات الغنية. وأما الزهاوي فينظر إليها من منظار آخر يختلف عن شعر لاهوتي، ويقصد بها الحرية الفكرية في كثير من الأحيان. ولقد نعى على الشعب جموده وتقليده كما ندد بالقهر الفكري.

حرية المرأة

لقد خطا الزهاوي كما خطا صاحبه لاهوتي خطوات هامة في تجديد الأغراض والموضوعات وتوسيع آفاقها. فقد نظم الزهاوي الشعر في أغراض لم يتطرق بها شعراء القرون الماضية كالشعر الوطني والاجتماعي والقصصي وعالج بعض القضايا الاجتماعية كمسألة تحرر المرأة ورفع الحجاب واختيار الزوج والخ.. و«إذا أردت أن تقف على دعوة ناهضة حقاً، اعتمصم بها

رائدها اعتصام، مؤمن ووفق لها نفسه، فإن الدعوة إلى «تحرير المرأة» قد كانت أسمى ما أبدعه الزهاوي في الميدان الاجتماعي، وأجود ما نظم» (الحاني، ١٩٥٤، ص٧٢). إن مقدار التحرر الذي تحصل عليه المرأة من العبودية في أي مجتمع هو أضبط مقياس لتحرر هذا المجتمع. فسياسات الحكام أثر مباشر في موقف المرأة في كل المجتمعات، ويشير اللاهوتي إلى هذا التأثير بكل صراحة ويرى الملك سبب تخلف المرأة وبقائها في سواد الجهل:

اي پادشاه پارس در اين عصر روشني زن را به تيرگي به چه مجبور مي كني

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص٩٢٢)

يا ملك فارس، لماذا تجبر المرأة البقاء في الظلام، في عصر الازدهار هذا في هذا البيت، كان اللاهوتي مصلحا اجتماعياً يعارض مظاهر الجهل وتخلف المجتمع ويقتد الظروف المعيشية للنساء ويدعو لإصلاحها.

في رؤية الشاعر فإن الملك وحكومته فرضا الجهل وعدم الاطلاع على المرأة وظلمها. ويقارن بين موقف المرأة في الشرق وموقفها في الغرب ويخاطب المرأة الشرقية ويخبرها بإبعادها عن النشاطات السياسية وحرمانها عن حقوقها الطبيعية:

زن هاي غرب در سر كار حكومتند در دست مرد شرق تو چون برده اي هنوز

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص٨٩٣)

تشتغل نساء الغرب في الدولة، لكن أنت كالعبد في يد الرجل الشرقي فالزهاوي أيضاً لا يؤمن بالتفريق بين الرجل والمرأة، أو تمييز أحدهما على الآخر في الواجبات، أو الحقوق. فهذا التفريق الذي يشيع في الشرق مصدره الجهل والظلم، ويقارن بين الشرق والغرب، وفقاً لعادته، ويبين تفوق الغرب على الشرق، ويرى سبب تفوق الغرب في معرفتهم حق المرأة فصانوه ثم يعدد الشاعر الإنجازات التي حققتها المرأة في الغرب فهي قاضية ومحامية ونائبة في البرلمان، وهي لا تهان إلا في البلاد المتخلفة التي يحكم فيها الظالمون والمستبدون.

فيحرض الزهاوي كصاحبه اللاهوتي المرأة بالإسهام والمشاركة في النشاطات السياسية

والاجتماعية ويجهد في وعيها وإيقاظها:

لِلْمَرْأَةِ الْيَوْمَ فِي الْمَجْلِسِ الْقَضَاءِ مَحَلُّ لِلْمَرْأَةِ الْيَوْمَ فِي الْبَرْلَمَانِ حَلٌّ وَعِقْدُ
لِلْمَرْأَةِ الْيَوْمَ فِي اسْتِكْشَافِ الْحَقَائِقِ شُغْلُ لِلْمَرْأَةِ الْيَوْمَ فِي الْمَجْلِسِ الْقَضَاءِ مَحَلُّ

(الزهاوي، ١٩٢٤، ص٢١٣)

وفي مكان آخر يقيس بين المرأة في الشرق والغرب ويقارن الحال بما هو عليه في الغرب حيث للمرأة احترامها ومكانتها وفرصها المتكافئة مع فرص الرجل ويرى في الشرق استهانة بقدر المرأة وتهميشاً لها خارج حياة العمل والعطاء والإبداع ومشاركة الرجل في تطوير المجتمع وبناء الوطن بالتالي تمتع المجتمعات الأوروبية بإسهام الجنسين بالعمل والبناء وإضفاء مظاهر الطبيعية والتحضر والرفاهية على الحياة الاجتماعية :

في الغرب حيثُ كلا الجنسين يَشْتَغُلُ	لا يَفْضُلُ المرأةَ المُقدَّمةَ الرَّجُلُ
كلا القرينين مُعْتَزُّ بِصاحبه	عليه إن نَالَ مِنْه العَجْزُ يَتَّكَلُ
وكُلُّ جِنْسٍ له نقصٌ بِمفرده	أما الحياةُ فبِالجنسينِ تَكْتَمَلُ
أما العراقُ ففيه الأمرُ مُخْتَلِفٌ	فَقَدَ أَلَمٌ بِنِصْفِ الأُمَّةِ الشَّلَلُ

(الزهاوي، ١٩٢٤، ص١١٣)

ويرى أن حضور المرأة بجانب الرجل واجب للإطاحة بالظلم وإصلاح الحكم، ويرى الالتفات للمرأة وإصلاحها بوصفها عضواً من المجتمع، إصلاح المملكة، لأنه لا تصلح الحكومة إن بقى هذا القسم من المجتمع في الظلمة والغفلة والفساد:

إن إصلاحها إصلاح مملكةٍ	وإن إهمالها موتٌ وخسرانٌ
-------------------------	--------------------------

(الزهاوي، ١٩٢٤، ص٣٦٦)

يوجه الزهاوي خطأ به في قسم كثير من أشعاره إلى الحكومة التي تفرض على المرأة الخسران، والرجال الذين أهملوا حقها، ويقارن بين نساء الشرق والغرب ويستدعي الشعب أن ينصفوا المرأة.

الوطنية من منظار الشعراء

لم يستحوذ موضوع الوطنية في الأدب على أحيلى الأدياء وشاعرية الشعراء كما استحوذ عليهم جمال الطبيعة ووصف مشاهد الكون الرائعة على مر الزمن على أن هذه الحاسة وإن تنوع التعبير عنها وتعددت الأشكال التي تتخذها لا تزال حاسة عامة. الشعر الوطني من الاتجاهات الشعرية الحديثة وقد ظهرت عند الزهاوي أول ما ظهرت على شكل مطالبة

بالدستور وحملة على سلطان عبد الحميد قام بها الزهاوي في قصيدته التي مطلعها:

ألا فانتبه للأمر حَتَّامَ تَفْعَلُ	أما علمتك الحالُ ما كنتَ تَجْهَلُ
------------------------------------	-----------------------------------

(الزهاوي، ١٩٢٤، ص٢٨٢)

تحتل ظاهرة الشعر الوطني مكانة مرموقة في أشعارهما السياسية، حيث توجد في ديوان الزهاوي إذا قارنتها بدواوين الشعراء في القرن التاسع عشر وما قبله «ومن العجب أن الشعر الوطني هذا قد غلب كل المميزات الأخرى في مدرسة الزهاوي وعند الشعراء الشباب في العالم العربي حتى أصبح هذا الشعر ظاهرة في أي ديوان» (سلوم، ١٩٧١، ص١٦٧).

أما بالنسبة إلى صاحبه اللاهوتي فهذه الظاهرة لها عناصر متعددة، يتحدث الشاعر في أشعاره الوطنية عن القضايا التي ترتبط بالوطن، عن الشعراء والكتاب والحكام والسلاطين والفكر والمفكرين وأيضاً المرأة؛ لأنه يرى أنّ المرأة تعدّ جزءاً أساسياً من الوطن لا انفكاك لها والكشف عن مواضع آلامها ومشاكلها هو في الحقيقة معالجة آلام الوطن ومصائبها.

محبة الوطن

حب الوطن ليس كلاماً يقال فحسب وإنما هو عاطفة تسيطر على صاحبها فإذا هو يكيف نفسه ويعبر عنها بلسانه حيناً، ويعبر عنها، فهذا هو الأهم بأعماله أحياناً. إن الوطن يبقى خالداً في ضمير كل شاعر، فالوطن يمثل للشاعر تمام الحب فكثيراً ما تغنى الشاعر بحب الوطن وهو يمثل حبه الأول فالوطن لا يشتري بمال. حينما نمعن النظر في شعر الشعراء، نرى الوطنية ميزة بارزة في أشعارهما، ونراهما يتغزلان بحب الوطن وبغرامه وبيئتان مشاعرهما في الوطن بلسان الغزل. وهنا يمزج الحب بالوطن ويرى لاهوتي وطنه روحه وحياته:

بشنو آواز مرا از دور اي جانان من اي گرامتر ز چشمان خوبتر از جان من

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص٤٠٧)

يا نفسي، اسمعي من البعيد صوتي، يا من أعز من الأعين، وأحب من النفس يبدو من هذا البيت أن حب الوطن والحنين إليه من الأغراض الرئيسية في شعره حيث يغالي الشاعر في حبه حتى ليصبح عنده الحبيب الذي يجد السكينة في جواره. يخاطب الشاعر وطنه من البعيد وهذا يدل على أنه لا يعيش بجواره وبعيد عنه.

وقد ملأ هذا الحب حياة الشاعر وامتزج بلحمه ودمه:

تنیده یاد تو در تار و پودم میهن ای میهن بود لبریز از عشقت وجودم میهن ای میهن

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص٤٤)

امتزجت ذكراك بسداي ولحمي أيها الوطن أيها الوطن، وامتلاّت حياتي من حبك أيها

الوطن أيها الوطن

وينشد الزهاوي حباً للعراق وعندما يضطر إلى ترك وطنه الحبيب يغني في فراقه هكذا:
 عَانَقْتَنِي لَيْلِي لَوْشَكَ الْفِرَاقِ فَتَلَاقَتْ دُمُوعُنَا فِي الْأَعْمَاقِ
 (الزهاوي، ١٩٢٤، ص ٣٤٤)

في كثير من الأحيان يرمز الزهاوي بليلى التي يخاطبها في أشعاره إلى وطنه. نسمع حقيقة هذا الكلام - أن ليلي حقيقة، أم رمز وكناية عن الوطن - من لسان الشاعر: «تارة أقصد بليلى، العراق وتارة أخرى الحقيقة وفي بعض الأحوال الفتاة التي كنت أحبها في الآستانة (راحيل)» (الرشودي، ١٩٦٦، ص ٥٤). لكن ليست ليلي للزهاوي في الأبيات التالية سوى وطنه الذي يصفى الشاعر له حبه وهيامه:

لَيْلَى الَّتِي أَنَا مُنْذُ حِينَ بَاسِمُهَا فِي كُلِّ بَيْتٍ مِّنْ قَصِيدِي أَشْهَقُ
 لَيْسَتْ سِوَى وَطَنِي وَمَا وَطَنِي سِوَى شَرَفِي الَّذِي أَسْمَى بِهَا وَأَحْلَقُ
 (الزهاوي، ١٩٧٩، ص ٤٨٥)

لم يرحل حب إيران لحظة عن آثار لاهوتي، مع أنه كان أحد رواد الشيوعية في إيران، وكان رجلاً بذل عمره وشبابه وطبعه وحياته في سبيل هذا الهدف وخدم ثورة أكتوبر أكثر من أربعين سنة، ومع أنه، عاش لسنوات طوال بعيداً عن وطنه. قال:
 من آن كبوتر سختم كه در وطن خواهي بهشت را نستام به جاي لانه خویش
 (اللاهوتي، ١٣٥٨، ص ٨٩٥)

أنا تلك الحمامة المقاومة، فلا أقبل بالجنة بدل عشي في حب الوطن
 كما يلاحظ من هذه الأبيات، ينعكس في أشعاره الأسف، الحزن، الضعف واشتياقه إلى الوطن
 حيث نرى أنه استعان من التشبيه للتعبير عن عواطفه الجياشة والنقطة التي علينا بالإشارة هي أنه
 أنشد العديد من قصائده حول الوطن في المنفى وهذه قضية فنية متميزة ومستقلة في قصائده.
 يتابع الشاعر أخبار إيران وهو بعيد عنها، ويتحسر على أوضاع بلده ويئن عندما يرى
 وطنه ما زال يتخبط في دياجير الاستبداد والاستعمار فينشد:

چو بینم صورت خوبان هفتاد دو ملت را بیاد آرم که یار من نشد آزاد ومی نالم
 (اللاهوتي، ١٣٥٨، ص ٦٦)

عندما أرى وجوه الطيبين من الاثنتين وسبعين فرقه، أتذكر أن حبيبي لما يزل سجيناً
 فأئن لذلك

إن محاربة الظلم والظغيان من الميزات الرئيسية التي تكلم الشاعر عنها وعندما يرى في بلده ظلم الحكام الجائرين، والانحراف الذي طرأ على المعايير الخلقية والمقاييس الاجتماعية، كل ذلك يزعجه وجعل الشاعر يزدري ويئن أنيناً شديداً.

وأما العراق فهو كإيران مصابة بالظلم والاستبداد ولها حكام ظلمة ومستبدون، لهذا أعرب الزهاوي عن قلقه بسبب اضطراب العراق وعدم استقرارها فيرى بلده وهو على وشك الموت من جروح أوردها الظلمة فيه فيرسم حالته المضطربة هكذا:

طَعْنُوكَ يَا وَطَنِي الْمُدَى فِي الصَّدْرِ حَتَّى كِدْتَ تَرْدَى
وَالطَّاعُونَ بَنُوكَ أَنْ سَتَ كَسَوْتُهُمْ لَحْمًا وَجَلْدًا

(الزهاوي، ١٩٧٩، ص ٦٦٨)

وهكذا، لا يستطيع الشعراء إلا أن يحب وطنهما لأن ما تأثرا به في وطنهما من أرض وهواء وماء وغذاء، وأصل ونسب وسلالة ووراثة وظروف بيئية أخرى تسيطر في أعماقهما وكيف لا يحب الشعراء وطنهما وفيه مجموعة مفاخرهما ومآثرهما، وفيه مواردتهما ومصادرهما، ومنه كانا وبه يكونان، وفيه ماضيهما وحاضرهما ومستقبلهما.

الدفاع عن الوطن

يقترح لاهوتي - وهو الذي جرب ميادين القتال وقاتل في ساحات الحرب لأجل الدفاع عن الوطن، وقد سيطرت الروح العسكرية عليه وهو قد تأثر بالدعايات الشيوعية ونزعات هذا الحزب وثورته وقيامه اللذين يدعو إليهما - نهجاً ثورياً مصحوباً بتضحية النفس وسفك الدماء في الدفاع عن وطنه الذي عجز ولا يستطيع النهوض والقيام. ويدعو شعب إيران للحضور في ساحات الكفاح لأنه نفسه رجل المعارك والميادين:

با وطن صادق كسي باشد كه با سعي و عمل عشق خود را در چنین دوران نمایش می دهد

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص ١٧٤)

يصدق الوطن من يعرض حبه وعزاه، بالسعي والعمل في مثل هذه الأيام

وهو يفتدي بكل ما لديه في سبيل الوطن:

تو بودم کردی از نابودی و با مهر پروریدی فدای نام تو بود و نبودم میهن ای میهن

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص ٤٤)

أنت أعطيتني الحياة وربيتني بالحنان، أفديك كل مالدي أيها الوطن أيها الوطن
 نرى أن للاهوتي لسان دافئ، مثير ومحفز ويرينا الفخر الوطني وحب الوطن بمساعدة
 فنه التعبيري حيث شبه الوطن بالكائن الحي الذي تربي الوطن بالحنونة واللفظ.
 من مزايا الشاعر الحقيقي أن البؤس واليأس والغفلة والهوان في الأمة يحزنه حتى الألم
 فيصبح كأنه هو الأمة البائسة المتفجئة المظلومة، ويجرح من الآلام قلبه، وينادي شعبه النائم
 والغافل ويسعى لإيقاظهم من غفلتهم ونومهم.

يقول الزهاوي: «الأمي المعنوية أكبر من آامي المادية فأني كلما رأيت تقدّم الشعب
 بطيئاً استولي على اليأس وكلما انخدع بالباطل تمزق قلبي من الأسى وكلما خضع للظلم
 شرقت بدمعي» (الرشودي، ١٩٦٦، ص ٣٩).

لقد عاش الزهاوي أكثر حياته في مجتمع جامد متخلف، تحكم أفراد العادات السقيمة
 والتقاليد البالية، ذلك لأن الدولة العثمانية التي حكمت العراق زهاء أربعة قرون، لم تكن لتهتم
 بتقدم حياة أبنائه ورفع مستواهم في شتى مجالات الحياة، بل تركتهم يبقون في ظلام الفقر
 والجهل والمرض. فلهذا السبب، خلال قراءة أشعار الزهاوي السياسية، ندرك بوضوح أن
 الشاعر يتحدث عن الشعب العربي ويكشف عن أوضاعهم، ولقد كان صوته يروي منبهاً أبناء
 وطنه ليكونوا أبداً يقظين مستعدين للدفاع عن الوطن وعن الحق والحرية، فهل سمعته قائلاً:

لا تَسْكُتِ الحَقُّ ناراً للِقارِعاتِ تصوتُ يَمُوتُ للحَقِّ خَلْقٌ والحَقُّ لَيْسَ يَمُوتُ

(الزهاوي، ١٩٢٤، ص ٤٠٢)

يدعو الزهاوي إلى ساحة الحرب وهو مستعد للقتال في سبيل الوطن، فيشهر السيف ولا
 يترك معركة القتال إلا أن يدبر الأعداء ويخرجوا من أرض الوطن:

سَأَغْسِلُ عَنِّي العارَ بِالسَّيفِ، إِنَّهُ يُصَدِّقُ عِنْدَ الغَرَبِ، أَوْ يَتَكَسَّرُ
 فَوَاللَّهِ لا أَثْنِي جَوادِي عَنِ العِدِيِّ غَدَاةَ غَدٍ، حَتَّى يُوَلُّوا وَيُدْبَرُوا

(الزهاوي، ١٩٢٤، ص ١١٤)

ويتأهب لاهوتي للدفاع عن إيران والتضحية في سبيلها، فيأتي إلى ساحة القتال ويؤكد
 على لزوم إخراج الأعداء من أرض الوطن:

كما نرى أن الشاعر في هذا البيت اعتبر الشعر والهوى جزئين لا يتجزآن عن نفسه
 حيث إنهما أصبحا كروحين في جسم الشاعر.

زندگي نيست دشمن رابه ملك خويش ديدن بايد از تن جان من يا از وطن دشمن

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص١٧٥)

ليست الحياة أن نرى العدو في ملكنا، ينبغي أن تخرج الروح من البدن، أو يخرج العدو من الوطن

يكشف الشاعر عن أهداف الاستعمار ويقول: يبحث المستعمر المعتدي عن الاستيلاء على أجساد الناس وأرواحهم وأعراضهم ويريد السيطرة على ثروات إيران النفطية وعلى اقتصادها وعلى الثقافة الإيرانية وسبلها، وهنا يسمي لاهوتي هؤلاء المعتدين لصوصاً متوحشين وينبه أبناء شعبه بحيل الأعداء وفخاخهم. فالى هنا يكون لاهوتي والزهاوي في جبهة واحدة أمام تعدي الأعداء، ولكن الزهاوي يغير رأيه في الأجنبي بعد أن تسقط بغداد على أيديهم. فيمدح الإنجليز وهو كان يهجوهم قبل ذلك. والإنجليز الذين كانوا ينكرون الحق بالأمس، يحفظون الذمام اليوم:

وَجَدتِ الْإِنْجِلِيزَ أُولِي احتشامٍ أباة الضَّيْمِ حَقَّاطِ الذِّمامِ

(الزهاوي، ١٣٢٧، ص١٤)

يشيد الزهاوي بعلم الإنجليز وحضارتهم وحسن النظام في بلدهم. في الحقيقة ليست المسألة في الآيات التالية حب الإنجليز وبغض قومه بل المسألة هي مسألة وطن بائس يلزم إنقاذه وشعب مريض يجب علاجه:

بِلادُهُمْ سَمَتَ عِلْمًا فَكَانَتْ جَمالُ الأَرْضِ فِي حُسْنِ النُّظامِ
هُنَاكَ حُكُومَةٌ عَظُمَتْ فِخْارًا بِفَضْلِ رِجالِ دُولِهَا العِظامِ
تَرَقَّتْ فِي حِضارتِها فَأُضِحَّتْ عَلى العَلياءِ ضَاربةَ الخِيامِ

(الزهاوي، ١٣٢٧، ص١٤)

بعد أن يصف الزهاوي قوة الإنجليز ورفقيهم، ينصح العرب بالالتجاء إليهم والتمسك بهم وترك حكومة الأتراك الدائبين في إهانتهم:

تَبَصَّرَ أَيُّها العَرَبِي واترُكْ وِلاءَ البَعْضِ مِنْ قَوْمِ لُثامِ
وَوَالِ الْإِنْكِلِيزَ رِجالَ عَدلٍ وَصَدَّقْ فِي الفِعْالِ وَفِي الكِلامِ

(الزهاوي، ١٣٢٧، ص١٦)

فإن موقف الزهاوي هذا يعبر عن الروح العربية في هذه الأثناء وعن كراهية العرب السياسة العرقية القومية التي اتبعها الأتراك.

وأما بعد أن يظهر الإنجليز سوء نيتهم، ويرى الشاعر وعود الاستقلال والحرية مزورة، فيهجم على ظلمهم وعدوانهم ويتمنى زوال هذا الظلم في أشعاره على شاكلة قوله:

يا أيدي الظلمِ شلّي ويا بلادُ استقلّي ويا رجاءُ تعزّز ويا مصاعبُ ذلّي

(الزهاوي، ١٩٢٤، ص ٢٩٥)

ويطالب باستقلال بلده ويحرض أبناء شعبه على الذود عن موطنهم ومطالبة الاستقلال:

بني وطني لا تسكّتوا عن حقوقكم أليس لكم منكم فم يتكلم

(الزهاوي، ١٩٢٤، ص ٢٩٥)

القومية أو الالتزام القومي

القومية صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلى الوحدة والتمسك بالموضوعات التي تهتم كل أبناء الأمة الواحدة والتحمس لها من حيث الاتجاه نحو الدفاع عن القضايا الوطنية (وهبة، ١٩٨٤، ص ٣٠٠). أما الاتجاه القومي العربي فهذا ما أشار إليه الدكتور مصطفى عبد الغني في كتابه "الاتجاه القومي في الرواية" حيث يقول: «إن الاتجاه القومي هو الذي يستهدف تعميق الاحساس لدي أبناء الأمة بالانتماء إلى الأمة العربية الواحدة ووعيهم بمفهوم القومية العربية ومقوماتها وتحريكهم بالعاطفة والوعي بترجمته في سلوكهم وممارساتهم واضعين نصب أعينهم الهدف القومي الأكبر وهو تحقيق الوحدة العربية الشاملة» (عبد الغني، ١٩٩٤، ص ١٧).

إذا دققنا في أشعار الزهاوي نرى أن الالتزام القومي وحب البلاد العربية من الخصائص التي قد رصّعت بأشعاره. وهو لا ينتمي إلى العراق فحسب بل يشعر بالمسؤولية أمام البلاد العربية الأخرى والتعلق بها. إلى أن يقول طه حسين عند وفاة الزهاوي: «لم يكن الزهاوي شاعر العربية فحسب ولا شاعر العراق، بل شاعر مصر وغيرها من الأقطار» (الرشودي، ١٩٦٦، ص ٤٥٦). إن الزهاوي من الداعين إلى القومية العربية و«ينزع في شعره نزعة عربية، ويفتخر ببني قومه العرب ويتغنى بذكرهم ويشيد بمحاسنهم وهو يدعو إلى نبذ التعصب الديني، فهو مدعاة التفرقة والتفرقة تستتبع الضعف، وهذا العصر هو عصر القوة، هو عصر التنازع على البقاء، الضعيف فيه مقضي عليه بالموت» (الرشودي، ١٩٦٦، ص ٤٥٧).

ومن دعوته إلى الوحدة والتمسك بالقومية العربية قوله:

ليس يبقَى من الشُّعوبِ إذا ما وطأتها الوغَى سِوَى أقواها

لا تعوز العرب إليها ليل إلا وحدة قد وددت أنني أراها
وإذا ظلمت العروبة أشتاتاً فلي الشك أن يطول بقاها
(الزهاوي، ١٩٣٩، ص٤٢)

ويشجع بني العرب على حفظ وحدتهم التي لا تأمن من يد العابثين وغارة المستعمرين ولقد
علا صوته مادحاً للعروبة وذائداً عن العرب وداعياً إلى الوحدة العربية ويندد بالمستعمر:

هِيَ وَحْدَةٌ مَيْسُورَةٌ لَوْلَا يَدُ الْعَابِثِينَ
إِنَّ الْعُرُوبَةَ لَيْسَ تَأْ مِنْ غَارَةِ الْمُسْتَعْمِرِينَ
وَهِيَ الَّتِي اتَّحَدَتْ قَدِيمًا بَيْنَهَا لُغَةٌ وَدِينًا
(الزهاوي، ١٩٣٩، ص٦٨)

إن الشاعر يتمنى أن ينال العرب مجده المفقود، المجد الذي تألق ولمع كنجم وأخضاه الأفول،
المجد الذي لا يزول ذكره مع زوال الراسيات، المجد الذي له فصول بين أحضان التاريخ وأيد
الرسول ﷺ :

أَوْهَلْ يَعُودُ إِلَى الْعُورِ بَةِ ذَلِكَ الْمَجْدِ الْأَيْلِ
مَجْدٌ بَدَأَ كَالنَّجْمِ يَلْمَعُ ثُمَّ أَخْفَاهُ الْأَفْـُـوْلُ
مَجْدٌ تَزُولُ الرَّاسِيَا تٌ وَذَكَرَهُ مَا إِنْ يَزُولُ
مَجْدٌ لَهُ فِي بَطْنِ التَّاءِ رِيخٌ قَدْ كَتَبَتْ قُصُولُ
مَجْدٌ بَنَاهُ اللَّهُ ضَخْمًا ثُمَّ أَيَّـدَهُ الرَّسُولُ
(الزهاوي، ١٩٢٤، ص٢٩٧)

كما نشاهد أن الزهاوي لم يغفل عن وطنه العربي الكبير وقد منحه الكثير من نفسه
وشعره وتغنى بأمجاده، فلا يقتصر الوطن عند الشاعر على ثغور العراق فحسب، بل يتجاوزها
ويخاطب الشعوب في البلاد العربية كلها ويتمنى المجد والعزة والرفعة للعرب جميعاً ويأمل أن
يعود هذا الوطن العربي الكبير إلى ماضي رقيه ويتخلص من القيود التي تحيط به ويرفرف في
كل موضع من أرجائه لواء العدل والمساواة والحرية. اما بالنسبة إلى لاهوتي فعلينا في البداية
أن نشير إلى حياته في الفترتين: الفترة الأولى قبل هروبه إلى الاتحاد السوفياتي، والفترة
الثانية بعد استقرار الشاعر في هذا البلد. ففي الفترة الأولى حارب المستعمرين بسيفه وبقلمه.
وأما بعد انقلابه الفاشل وهروبه إلى الاتحاد السوفياتي أصبح هذا البلد وطنه الثاني. وهناك

حصل الشاعر على مناصب حكومية وأصبح مبعثاً للحزب الشيوعي، وهو كان قد اعتنق هذا الحزب في إيران قبل ذهابه إلى الاتحاد السوفياتي فتحتل روسيا مكان إيران عند الشاعر ويتحدث عنها بشكل يتصور القارئ في البداية أنه يخاطب إيران.

فيحارب اللاهوتي المعتدين على أرض الاتحاد السوفياتي كما كان يحارب المستعمرين في إيران. وهو في هذه الفترة من حياته روسي يدافع عن أرضه بروحه وبقلبه وفي هذا الإطار يهجم على ألمانيا التي اعتدت على أرض الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية، ويبدأ هجوماً عنيفاً ضد الفاشية ويرأها آفة عظيمة للعالمين. ويصبح لسانه أذع وأذع عندما ينغمس العالم في الحرب العالمية، ويدعو الشعوب إلى التعاضد للإطاحة ببلاء الفاشية. وهو رجل حر ينتقد كل ظلم واضطهاد ضد البشر وبالطبع لا تستطيع الفاشية أن تأمن من هجوم الشاعر الإيراني (اللاهوتي، ١٣٥٨، ص ٥٩). يكتب «يحيى آرين لپور» حول مضمون مخالفة الفاشية في شعر لاهوتي: بعد هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتي، أصبحت الجهود ضد الفاشية مادة رئيسة وأساسية لشعر لاهوتي، فيدعو الشعوب في أشعاره في هذه الفترة إلى التضحية والجهاد ويسعى لإثارة مشاعرهم الوطنية (آرين پور، ١٣٧٤، ص ٤٩٧). فتسمع على لسان لاهوتي ما يؤكد كلامنا:

ارتش آلمان هنر جز قتل و ويراني ندارد	در تمام هستيش آثار انساني ندارد
خون خورد، غارت برد، آتش زند، ناموس ريزد	رحم بر ايراني و شفقت به توراني ندارد
مرد آن باشد كه بر ضد چنين اردوي وحشي	بي تزلزل جنگد ويك مو گرانجاني ندارد

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص ١٧٦)

ليس لجيش ألمانيا فن سوى القتل والهدم، ولا يمتلك في كل حياته آثاراً إنسانية
يمتص الدم، ينهب، يحرق، يهين الشرف، لا يرحم لإيراني ولا يشفق على التركي
الفتى هو الذي يحارب المعسكر المتوحش هذا، دون تردد، ولا يبخل بروحه قدر شعرة
يذهب الشاعر إلى ساحة الحرب للذود عن روسيا كما ذهب إليها، مدافعاً عن إيران سابقاً:
وقت راحت نيست ياران، من به ميدان مي روم من به ميدان از براي حفظ جانان ميروم

(اللاهوتي، ١٩٤٤، ص ٨)

يا أصدقاء، ليس هذا الزمن، زمن الراحة. أنا أذهب إلى ساحة الحرب لحفظ المحبوب
لا ينسى الشاعر موطنه إيران، ويدعو الإيرانيين للاتحاد مع أخوتهم الروس ليقاتلوا ضد

الفاشية وينذرهم من غدر الألمان ومكرهم:
 بشنواز من تهمت فاشيسم را باور مكن
 يك نفس هم تكيه بر اين سيل مرگ آور مكن
 ره به اين طاعون مده، خاك فنا بر سر مكن
 با برادرهاي روس اخلاص را كتر مكن

(اللاهوتي، ١٩٤٤، ص٧٧)

اسمع منّي أن لا تصدق تهمة الفاشية، لا تستمع أسطورة اللصوص المكارّة
 لا تعتمد لحظة على هذا السيل المميت، لا تسمح بدخول هذا الطاعون لا تصب تراب
 الفناء على رأسك
 لا تقلل من الإخلاص في حق الأخوة الروس

الحنين للوطن

يرتبط الشعراء - الزهاوي ولاهوتي - بالوطن ارتباطاً معنوياً وجسدياً؛ إذ يمثّل بالنسبة إليهما
 الحب الحقيقي والصدق الاجتماعي في العلاقات الإنسانية التي شوّهت. الوطن هو فسحة
 الأمل التي لا تزال تفتح نوافذها لمن يعيش عيش الحياة ببساطتها ونقاؤها؛ إنها طبيعة الانسان
 الذي ينتمي بصدق ووفاء إلى أرضه مهما ابتعد عنها، أو تغيرت، إذ يبقى حنين الانسان دائماً
 إلى منزله الأول غريزياً.

كان الحنين للوطن سمة من أبرز سمات شعر الشعراء، والذي نابع من النزعة الرومانسية
 التي تلون روح الشعراء. هذا الحنين الجارف إلى الوطن الذي عاشت فيه ظروف قاسية
 أحاطت بالأدب والفكر والشعور أيام السلطان المستبد.. ظروف دفعت الأبناء إلى الهجرة.. ألم
 الفراق وهم البعد عن الوطن ظاهر في أشعار الزهاوي، وله قصيدة أسماها «أين المراق»
 وأنشدها حين فقد أمله عن الملك فيصل وأجبر على ترك العراق منطلقاً إلى مصر. في هذه
 القصيدة نلمس صورة صادقة للشعور المغترب الذي تعيش في أعماقه رغبة ملحة صادقة
 في عودة إلى الوطن.. مطلع هذه القصيدة تغزل وشكوى:

عائقتني ليلى لوشك الفراق فتلاقت دموعنا في الأعناق

(الزهاوي، ١٩٢٤، ص٢٤٤)

ويحقق في ختام هذه القصيدة، أن القصد من ليلى هو العراق؛ لأن يشير الشاعر بوضوح

إلى الرحلة والانفصال عن العراق:

قد رحلنا عن العراق جميعاً أنا والشعر والهوى باتفاق

(الزهاوي، ١٩٢٤، ص ٣٤٤)

كان لاهوتي يعيش على ذكرى وطنه الذي غادره، وهو يتابع أخباره ويصفي لأهله حبه ومودته، ويقف على ما يصيبهم من المحن والظلم، فيذهب قلبه عليهم حسرات وتترامى إليه أخبار المآسي التي يتخبط بها وطنه فتتلظى في فؤاده النار. هو وطني حقاً، ما نسى وطنه لحظة رغم بعده عن وطنه إيران لسنوات طويلة، ورغم كونه شيوعياً متعصباً، وكان يعتز به ويتباهى بشعبه، ويغني لإيران كالمعزم الذي بعد عنه حبه وغرامه. وكثير من أشعاره الوطنية، يعكس مشاعره الغرامية لإيران:

يشنو آواز مرا از دور ای جانان من ای گرامیتر ز چشمان خوبتر از جان من
اولین الهام بخش و آخرین پیمان من کشور پیر من، ای پیر عالی شأن من

طبع من، تاریخ من، ایمان من، ایران من

من جدا افتاده از پیش تو، فرزند توام لیک روحاً پای بند مهر و پیوند توام

(اللاهوتي، ١٣٥٨، ص ٤٠٧)

يا نفسي، إسمعي من البعيد صوتي، يا من أعز من الأعين، وأحب من النفس

يا أول ملهمي ويا آخر ميثاقي، يا وطني الهرم ويا هرمي النبيل

يا طبعي، وتاريخي، يا إيماني ويا إيراني

أنا ابنك المنفصل عنك، ولكن روحي ملتزمة بحبك والارتباط بك

كما نرى هذه الصرخة تعبر عن قمة الشعور بالحنين.. هذا اللون العاطفي الذي يعبر عن الشكل الرومنطقي الذي اتخذه الشاعر بعد أن توفرت له عناصر بعد عن الوطن والحنين إلى الماضي، ولهذا نجد الأثين والحنين تلون هذا الجو النفسي والفني الذي تعيشه الشاعر فيه.

النتيجة

كانت هذه الدراسة محاولةً لكشف عن أهم المضامين السياسية والاجتماعية في شعر الزهاوي وصاحبه لاهوتي الذين عاشا في عصر المشروطة، وهو العصر الذي كان الاستبداد عاملاً أساسياً في أزمة إيران والعراق آنذاك حيث عانى الشاعران من مظالم الحكام وجورهم واصفين مسالكهم ومصورين استبدادهم وظلمهم للرعية. نستوحي مما ورد في دواوين الزهاوي ولاهوتي مفهوم الحرية والوطنية وهذا يدل على اعتقاد الشاعرين العميق أن الشعر يستطيع أن يكون في خدمة الناس لذلك لم يكن الشاعران بمعزل عن مشاكل الأساسية في مجتمعيهما.

- الحرية إحدى المفاهيم الفطرية، حيث يعاني كل إنسان حسب فطرته وطبيعته من الأسر ويكره العبودية، فنرى ديواني الشاعرين مشحونين بطرد العبودية والظلم وطلب الحرية والعدالة.
- عاش الشاعران في فترة كانت قضايا كالحرية والعدالة والمساواة في طليعة أفكار المنورين والمفكرين في المجتمع. فنرى الشاعرين يكتبان وينشدان في هذا المجال وتألماً من فقدان الحرية والاختناق اللذين سببتهما سياسة الحكام الفاسدة، وقد أدى هذا الاختناق إلى أذى الشاعرين وسجنهما ونفيهما.
- النزعة الوطنية الثائرة هي من أول المظاهر الموضوعية في شعرهما. فقد كان الزهاوي - رغم ألمه ومرضه - روحاً ثائرةً متمردةً على الاستعمار الذي كان يراه يرتع وطنه الصغير عراق، وفي وطنه الكبير العالم العربي بأسره. لذلك كنا نراهما دائماً يخرجان القصيدة تلو القصيدة ملتتهبة بحماس الوطنية متأججة المشاعر، يريدان بها أن تهض أمتها من غفوتها وأن يزول عنها ذلك الكابوس البغيض.
- يغالي الشاعران في حب الوطن حتى ليصبح عندهما الملاذ الذي يجدان السكينة في جواره وإنما يندمجان في روحه ويعانقانه عنق الأحياب.

المصادر والمراجع

١. آجوداني، ماشاءالله (١٣٨٥ش). يا مرگ يا تجدد. طهران: اختران.
٢. آرين پور، يحيى (١٣٧٤ش). از نيما تا روزگار ما. طهران: زوار.
٣. بصيري، محمد صادق؛ راضيه نورمحمدی (١٣٩٠ش). استعمار ستييزي در اشعار ملك الشعراي بهار وجميل صدقي الزهاوي. لسان مبین (پژوهش ادب عربي)، ٣(٦)، الشتاء، صص ٢٩-١.
٤. بوقرين، يوسف بن عبدالله (١٤١٦هـ). الشعر، الموهبة، الرسالة. مجلة الواحة، العدد الثالث.
٥. حاتمي، سعيد (١٣٩١ش). مقام زن در اشعار لاهوتي، ايرج ميرزا وعارف قزويني. زن وفرهنگ، ٣(١٢)، الصيف، صص ٦٥-٨٠.
٦. الحاني، ناصر (١٩٥٤م). محاضرات عن جميل صدقي الزهاوي؛ حياته وشعره. ط ٢، بغداد: مطبعة دار المعارف.
٧. الرشودي، عبدالحميد (١٩٦٦م). جميل صدقي الزهاوي دراسات ونصوص. بيروت: دار مكتبة الحياة.
٨. سلوم، داود (١٩٧١م). مقالات عن جواهري وآخرين. النجف: مطبعة دار النعمان.
٩. سليمانى، صمد؛ رحمت اله حيدري منش (١٣٩٠ش). ملحمة ثورة الجعيم في شعر جميل صدقي الزهاوي. فصلية دراسات الأدب المعاصر، ٣(١٢)، صفر ١٤٣٣، دي، صص ٢٢-٤٠.
١٠. صدقي الزهاوي، جميل (١٩٢٤م). المجلد مما أرى. القاهرة: المطبعة العربية.
١١. _____ (١٩٣٩م). الثمالة. بغداد.
١٢. _____ (١٣٢٧هـ). الكلم المنظوم. بيروت.
١٣. _____ (١٩٢٨م). اللباب. بغداد.
١٤. _____ (١٩٢٤م). ديوان الزهاوي. القاهرة: المطبعة العربية.
١٥. _____ (١٩٧٩م). ديوان جميل صدقي الزهاوي. ط ٢، بيروت، دار العودة.
١٦. _____ (١٩٦٥م). الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.
١٧. عبد الغني، مصطفى (١٩٩٤م). الاتجاه القومي في الرواية. الكويت: عالم المعرفة.

١٨. كياني، حسين؛ علي نژاد چماز كتي، فاطمه (١٣٩٠ش). روابط بينامتنني ديني در اشعار لاهوتي، ايرج ميرزا وعارف قزويني. الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ٨(٢١)، الشتاء، صص١٠٣-١٣٧.
١٩. لاهوتي، أبو القاسم (١٩٤٤م). جنك آدميزاد با ديو. موسكو: اداره نشریات به زبانهاي خارجي.
٢٠. _____ (١٣٥٨ش). ديوان أبو القاسم لاهوتي. باهتمام أحمد بشيري. طهران: امير كبير.
٢١. وهبة، مجدي؛ المهندس، كامل (١٩٨٤م). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. ط ٢، بيروت: مكتبة بيروت.